النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي "الآداب"

ج.ع.م.

لمراسل الآداب سامي خشبه

في حزيران الرابع : معرفة الذات ومعرفة العدو

كان ذلك الشهر الماضي هو حزيران الرابع . ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ . تلك اعوام لا ينبغي ان نتركها تمر كغيرها من الاعوام . لم نفقد فيها سيناء وغزه والقدس والضفة الغربيه والجولان فقط . ولم نشيع ما يقرب من عشرين الف شهيد من بني قومنا فحسب . ولم نخسر عدة مئات من ملايين الجنيهات او الدنانير او الليرات وحدها . تلك اشياء نسترجعها بحرب ناجحة ، او نحتسبها في تاريخنا تقدمة وهدايا لمستقبل البشرية متفائلين، او نعوضها عن زيادة بضع ساعات في ايام العمل ، من جهد العقول والايدي . ثمة أشياء أخرى كان علينا ان نفقدها راغبين ، بل ان نسعى لكي نفقدها ، وتلك اشياء ليس ينبغي ان نستعيدها . كان علينا ان نفقد جلدنا المتهرىء القديم وان نعيد فحص لحمنا العاري وان ننبذ اقنعتنا الحديدية التي تخفي حقيقتنا حتى عيوننا. كان علينا ان نعيد النظر في ذاتنا : مجتمعاتنا وقيمنا ومؤسساتنا ومثلنا واساليبنا في العمل ، مناهج الدراسة في مدارسنا والكتب التي نطبعها والافلام والمسرحيات التي نتفرج عليها والاغاني التي نغنيها، كيف نتزوج ونحب ونربي اطفالنا ، كيف نصادق ونغضب ونعادي ونحارب ونحلم ونزخرف الاماني ، وكيف نيأس او يستبد بنا الشوق او يداعبنا الرجاء ، كيف ننظم عملنا وكيف نخطط لمستقبلنا واسلوبنا في الاختيار وكيف نلتزم بما اخترناه او نتمرد ضد ما يفرض علينا . كان علينا ـ حتى كثوار ـ ان نعيد النظر في اسلوبنا في الثورة وفهمنا لها . كان علينا ان ندرك ان الثورة ليست انقطاعا للزمن وانه لا يفصلها عن الماضي الا ما يفصل ماء البحر عن شاطىء اليابسة ، ولكن كان علينا ان ندرك ايضا ان الثورة ليست تسامحا مع الماضي او جواز مرور له الى المستقبل . كان علينا ان ننظر في شجاعة الى الواقع الذي نعيشه وان نعرف تناقضاته وصراعاته الداخلية ، ومناقضته ونصارعه مع قوى خارجيه وان نحدد موقفا من كل مجموعة من تلك المتناقضات والصراعات والقوى: موقفا معناه اما الثورة واما الانتكاس الحقيقي : وهذا معناه بالتالي اما ان نسترجع ما فقدناه وان نعوض ما خسرناه ثم نتقدم الى الامام بخطى حثيثة ، واما ان تستمر الهزيمة ويتضاعف حجمها .

ان نظرة واحدة الى كل ما كتب منذ هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ تخلص الى نتيجة اساسية لا ينبغي ان نغفل عنها : ليس الصراع بيننا وبين اسرائيل مجرد صراع عسكري . وانما هو صراع حضاري شامل ، مثلما كان الصراع دائما بين القوى الاستعمارية والشعوب التي تطمع تلك القوى في قهرها والسيطرة عليها . من المؤكد ان هذه القوى الاستعمارية كانت ـ وما تزال ـ تطمح الى الاستيلاء على الثروات الاقتصادية لدى تلك الشعوب : مواردها الطبيعية وايديها العاملة واسواقها الاستهلاكية . ولكن لا شك ان تخلف تلك الشعوب الحضاري كان ـ وما زال ـ هو السبب الاول لهزيمتها امام القوى الاستعمارية من ناحية ، كما ان المحافظة على ذلك التخلف وتعميقه ومنع الشعوب المقهورة من الوعي بذاتها وعن التقدم الحضاري كان جزء اساسيا من ادوات القوى الاستعمارية للابقاء على سيطرتها من ناحية اخرى .

اننا نعني بالصراع الحضاري صراعا بين نظم اجتماعية وانساق فكرية واساليب في العمل تنتمي الى مراحل تاريخية مختلفة ومتفاوتة لقد كان النظام الرأسمالي بما قام عليه عن تطور اقتصادي وتكنيكي، وما ساده من نزعات عملية نفعية ، وما حققه من تنظيم مخطط للجهد البشري ، هو ما اتاح لقوى الغرب الاستعماري ان تقهر وان تسيطر على شعوب العالم الثالث ذات الانظمة الاقطاعية والعبودية باقتصادها وتكنيكها المتخلفة ونزعاتها الاتكالية ذات الطابع التأملي والسكوني وعفوية تنظيمها لجهود البشر . ولكن القهر السياسي والعسكري لم يكن سوى المقدمة لعملية الاستغلال الاقتصادي من ناحية وعملية الاستنزاف الحضاري الشامل حتى يبقى الجسد المعلول على حالته التي لا يرجى معها أمل في المقاومة من ناحية ثانية .

ومن ناحية اخرى فقد كانت للمقاومة صور مختلفة في بلدان ذلك العالم . ولكن المضمون الجوهري لكل تلك الصور انما يتوحد في معنى مشترك : لا يمكن للمقاومة ان تكون ((ثورة)) مستمرة وقادرة على الوصول الى اهدافها الاستراتيجية الا بتغيير العلاقات الاجتماعية التي تحكم النظام الاجتماعي لدى الشعب المستعمر ، والا بتطوير الانساق الفكرية السائدة والتخلص من سيطرة الفكر التأملي والسكوني على سلوك الافراد والمؤسسات الاجتماعية وايقاظ العقلية القومية لدى الشعب المستعمر وتحريكها ، والا باكتساب القدرة على استخلاص الطاقات الكاملة للجهد البشري وتنظيم استهلاكها والتخطيط لتنميتها بما يتكافأ مع مطالب الثورة والنمو الوطني القومي .

ان الثورة كما يقال هي علم تغيير المجتمع البشري . والحرب الثورية ليست سوى الجانب العسكري من الثورة ، او هي ـ كما في حالتنا منذ الخامس من حزيران الاول ـ الثورة في حالة صدام عسكري مع اعدائها ، المجتمع الثوري والمجتمع المعادي للثورة يتصادمان بالسلاح . للفصل في قضية وجود كل منهما واستمراره . الاسلحة هي التي ((تشتبك)) ، وهذا حقيقي ؟ ولكن الايدي التي تمسك بالسلاح والادمغة التي تخطط للايدي ، والعلاقات الاجتماعية داخل كل من المجتمعين وانساق الفكر السائدة في كل منهما واساليب العمل وتنظيم الطاقات والتخطيط لتنميتها لمواجهة اعباء الحرب واعباء المستقبل بعدها ، هذه كلها هي ما ينبغي ان نشغلنا في المحل الاول لان اشتباك الاسلحة لا يعني الا ان نمطين من الحياة ، نوعين من المجتمعات ، حضارتين تنتميان الى عصرين مختلفين وشقين متناقضين من القيم ، تحتكمان الى السلاح حتى يبقى احدهما ويبيد الاخر ربما الى الابد .

واذا كان الاهتمام بمعرفة العدو عملا اساسيا ، واذا كان تغيير الاساس الفكري في فهمه وزاوية النظر اليه نحو اساس اكثر موضوعية وعلمية ونحو زاوية نظر اكثر اقترابا من حقيقته الاستعمارية العنصرية وارتباطاته بالقوة الامبريالية العالمية ، اذا كان هذا التغيير سبيلا ممهدا نحو تحقيق المعرفة به وفهمه ، فان الاهتمام بمعرفة ذواتنا ، وتغيير النهج الفكري في تحليل واقعنا الاجتماعي والعقلي واساليب عملنا ، هو السبيل الممهد الحقيقي نحو خلق اكثر الاوضاع ملاءمة لاستمرار ثورتنا ولانتصار حربنا الثورية

في وقت واحد ، ان اعادة نظر المثقفين الثوريين في تحليلاتهم السياسية للعدو لن تكون مجدية الا اذا كان باستطاعة مجتمعاتنا الثورية ان تستخدم تلك التحليلات استخداما يتميز بالكفاءة والفعالية : اننا لن نستطيع استخدام معارفنا المتطورة الا اذا كنا نملك اداة اجتماعية وبشرية متطورة ايضا او ان تحكمها علاقات اجتماعية ثورية ، وسودها مفاهيم فكرية علمية ومستنيرة ،ونستخدم اساليب في العمل قادرة على تنظيم جهدنا وتخطيط تنميته وتحديد الاهداف التكتيكية والاستراتيجية لعمله . ببساطة نسأل : ما دلالة ان نعرف ان اسرائيل ظاهرة استعمارية استيطانية عنصرية مرتبطة بالامبريالية العالمية اذا ظلت مفاهيم التمييز الفئوي والاستعلاء الطبقي هي ما تحكم علاقات المدينة بالريف ، وكبار الموظفين بصغارهم وبالعمال ، وموظفي الاصلاح الزراعي وملاك الارض بالفلاحين ، والادارة التنفيذية بالجماهير ، واذا ظلت غالبية الافلام التي يتفرج عليها جمهورنا مستوردة من الولايات المتحدة الاميركية بالذات ، واذا ظلت مطابع الشمرل مثلا تطبع مئات الالوف من الاوراق كتبت عليها احجبة تحمل اسماء ملوك الجان لتقي الناس من لدغ العقرب والثعبان وادعية توصل العشاق الى عشاقهم وتحقق النصر وتنجي من الضرر وتشفي الاوجاع وبيعها الصبيان في مواصلات القاهرة بعد الحصول على موافقة الجهات المختصة بالمطبوعات ، واذا ظلت « الحياة على النمط الاميركي » هي المثل الاعلى في ادمغة غالبية من يشغلون المراكز الرئيسية في ادارات الحكومة والقطاع العام ، واذا ظلت ارصفة القاهرة ومدن اخرى ودكاكينها تشحن كل يوم بأطنان هائلة من البضائع الاستهلاكية المهربة ، المصنعة في الدول الامبريالية نفسها التي تمول اسرائيل وتسلحها وتمدها بالخبراء والعتاد ، واذا ظلت اساليبنا في التخطيط من نوع يؤدي الى ادارة ميادين القاهرة باضواء باهرة رغم نظام الاظلام الجزئي في الشوارع المؤدية الى نفس الميادين ورغم ان نفس الشوارع بحاجة الى ترميم كثير ؟

اننا نعرف ان نشر التحليلات عن العدو وطبيعته الاستعمارية وارتباطه بالامبريالية سيؤدي الى نشر الوعي العلمي بالعدو والى زيادة حرصنا منه والى زيادة عدائنا للنظم التي يمثلها . الى زيادة اعجابنا بالتالي بالنظم التي نمثلها نحن او يمثلها اصدقاؤنا .الخ ..هذه الحجج القائمة على اساس ان « كل الاشياء مترابطة » طبقا لقوانين المادية الجدلية او قانون الفعل والفعل المنعكس . ولكن القضية هنا هي : هل ستؤدي هذه التحليلات ـ وحدها ـ الى ان ندير مواجهتنا للعدو بالطريقة الصحيحة ما لم يكن بناؤنا الاجتماعي كله وتكويننا الحضاري في مستوى هذه الادارة الصحيحة لتلك المواجهة الحضارية ؟

في عدد مايو (ايار) من مجلة « الكاتب » القاهرية يقول الاستاذ احمد عباس صالح رئيس التحرير في افتتاحيته بعنوان « بعد ثلاث سنوات » ان هذا الشعب .. « لن يفقد ايضا شبرا من ارضه .. انه لم ينفجر بعد .. انهم يثيرون حفيظة كائن اسطوري عمره عشرة الاف سنة ! والمشكلة في رأينا هي : كم من خبرات هذه السنوات العشرة الاف من عمرنا ـ نحن الكائن الاسطوري ـ تصلح لمواجهة العدو الحالي واجتياز التجربة الحالية ؟ هذه الخبرات التي لا بد من مواجهتها مواجهة نقدية حاسمة ، تلغي التمايز والاستعلاء بقدر ما تكون قادرة على الغاء تأثير ملوك الجان والافلام الاميركية وشهوة استهلاك بضائع « الامبريالية »بهدف ان يصبح مستهلكها في مستوى « الحياة في اميركا » .

وفي مجلة « الهلال » من نفس الشهر نرى محاولة جديرة بالتقدير لنقد ـ او لاستيعاب ـ خبرة من نوع رئيسي في معركتنا : خبرة «مصر المحاربة » وهذا هو الشعار الذي صدر في ظله عدد المجلة في هذا الشهر وقد حرص العدد على ان يشمل هذه الخبرة من زاويتيها : الحرب الرسمية او النظامية ، والحرب الشعبية .

ولكن المشكلة هي ان العدد لم يستطع ان يميز بين الحروب التي شنتها مصر « التوسعية » ، وبين تلك التي خاضها الشعب المصري دفاعا عن حريته ذاتها . ان مشاركة جيش محمد علي في حرب « المورة » مثلا كانت تهدف الى اخضاع الشعب اليوناني لسيطرة العثمانيين قبل عدة سنوات من الحروب التي شنها محمد علي نفسه ضد الباب العالي لتخليص « نفسه » من سيطرة السلطان ، ولكي يقنع السلطان بان محمد علي نفسه هو اجدر رجال السلطنة بان يكون صدرا اعظم يعيد للاستانة مجدها القديم ! وكاتب آخر في استعراض لاعداء مصر طوال التاريخ لا يمانع في تزييف تفصيلات تاريخية معينة ، بقوله مثلا ان المصريين تعاونوا مع حلفائهم اليونانيين في طرد الفرس من مصر بقيادة الاسكندر الاكبر : ولا يسأل نفسه ـ بصرف النظر عن كل الحقائق التاريخية عن الصراع اليوناني الفارسي الذي شهدته مصر كضحية للطرفين في عصر من عصور اضمحلالها، ان كان المصريون في ذلك التحالف المزعوم وكيف كان وضعهم فيه ؟! ولكن كتابا آخرين يستطيعون ان يكشفوا عن خبرات ثمينة لا بد حقا من استيعابها ، خبرات الحرب الشعبية في ثورات القاهرة ، وموقف جمال الدين الافغاني من الحرب الشعبية ، والقرية المصرية في مواجهة العدوان الاجنبي .

يمثل هذا العدد من مجلة الهلال ، المساهمة الجماعية الوحيدة من جانب المثقفين المصريين في ٥ حزيران الرابع لتفهم جوانب معينة من « حقيقتنا » نحن . اذ تركزت غالبية المساهمات الاخرى على محاولة تفهم الحقيقة « السياسية » للعدو ، وحدها ووحده .

في مجلة « الكاتب » مثلا يكتب الدكتور شريف حتاتة عن « يونيو وطريق المستقبل » ، فيقدم تفريرا شكليا عن صعود الحركة الثورية العربية ، وعن الثغرات في الجبهة العربية التي ادت الى الهزيمة : والصعود عنده هو قيام ثورتي السودان وليبيا ثم ظهور المقاومة الفلسطينية المسلحة ، والثغرات هي وجود القواعد الاستعمارية في بعض البلدان العربية وهي انقسام الحركة الثورية العربية : فقط . اما المخاطر التي تحدق بالبلدان العربية فهي الجهود التي يبذلها الاستعمار لاسقاط الانظمة التقدمية في الوطن العربي ، واما « المهام » التي تواجه الشعوب العربية فتتلخص في : توحيد القوى الثورية ، ووضع برنامج للعمل للاعداد للمعارك المسلحة القادمة سواء في مجال الجيوش النظامية او في ميدان النضال الشعبي المسلح ، وتنظيم صفوف العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين .

وفي مجلة « الطليعة » يقدم الدكتور فؤاد مرسي تحليلا لحرب ٥ يونيو : دلالتها وتطورانها . يقدم الكاتب وجهة النظر العلمية القائلة بان « حرب ٥ يونيه لم تكن حربا بين العرب واليهود ، ولا صراعا على الحدود الاقليمية بين اسرائيل والدول العربية ، ولكنها كانت صراعا بين الاحتكارات العالمية بزعامة امريكا ، وبين حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي لشعوب هذه المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية والغنية بالبترول ». ورغم ان الكاتب يقر بانه « قد يكون لاسرائيل وجودها المستقل عن الوجود الاستعماري ، فلها مطالبها الخاصة بل لها اطماعها التي لا شك فيها » فان الصورة التي يقدمها ، والمادة الاحصائية التي يدعم بها تحليله تؤديان الى نفي الطبيعة الخاصة لتلك الحرب ، بل الى طمس الاساس الحقيقي لطبيعتها العامة . لقد كانت تلك الحرب ، من الناحية العامة ـ محاولة لاجهاض النمو الوطني والقومي العربي ولضرب بدايات التحول الاجتماعي ،بمعنى آخر ، كانت محاولة لاجهاض اي تغير حضاري في المنطقة يؤدي الى بروز الدور السياسي التاريخي للشعب العربي من خلال التحرر الوطني والاجتماعي بعد انتصار يحققه هذا الشعب على القوى الداخلية ، والخارجية المعادية لتقدمه الحضاري العام . وعن الناحية

الخاصة كانت هذه الحرب عملية محدودة ، تهدف الى اسقاط نظم تقدمية بعينها ، وتحطيم الارادة العربية التحررية عن طريق سحقها عسكريا ، والتوسع في الارض العربية القريبة في سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان ، وابادة قسم آخر من الشعب العربي الفلسطيني. ان امتزاج هذين الجانبين ، العام والخاص ، لا بد وان يؤدي الى استخلاص « الدلالة » الرئيسية لتلك الحرب :منع العرب من ان يتحولوا الى امة موحدة ، مستنيرة ومتحررة ، تبنى اقتصادا قوميا مستقلا واشتراكيا ، وتنمي ثقافة قومية ديموقراطية علمانية حقيقية ،وتشارك الانسانية التقدمية في محاصرة القوى الاستعمارية وتدعيم قوى التحرر والسلام والنمو المادي والروحي للبشر جميعا على قدم المساواة .

وفي نفس العدد من مجلة الطليعة يقدم الدكتور اسماعيل صبري عبدالله مقاله عن « اسرائيل : ثلاث سنوات بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ » . ويكشف الكاتب عن وضع التفاؤل والثقة الذي كان عليه قادة اسرائيل بعد الحرب مباشرة ،ثم بداية صدمتهم حينما لم ترن اجراس التليفونات من الجانب العربي تعلن عن استعداد العرب للمفاوضة والتسليم . ويقدم الكاتب حقيقة هامة : كانت اسرائيل تواجه ازمة اقتصادية وتزايدا في البطالة وفي نسبة المهاجرين منها عشية الحرب ، ثم جاءتها الحرب كحل مؤقت للازمة ، ولكن اعباء الحرب حولت الحل الى مشكلة بانفجار المقاومة وتصاعد حرب الاستنزاف وزيادة اعباء الجيش الاسرائيلي واستمرار التعبئة واختلال ميزان المدفوعات وتجميد الاجور والتضخم ، وادت الحرب ايضا الى كشف زيف ادعاءات اسرائيل عن اشتراكيتها ودبموقراطيتها ورغبتها في السلام كما انفجرت ازمة ولاء اليهود المزدوج عن جديد ، وكشفت ازمة ما بعد الحرب عن تزايد اعتماد اسرائيل على امريكا ، ويخلص الكاتب الى ان اسرائيل لا بد ان تلجأ الى مغامرة عسكرية جديدة .

ولكن المقال اللافت للنظر حقا ـ من حيث موضوعه لا من حيث معالجته للموضوع ـ هو مقال « مدينة في المعركة : بور سعيد بين حربين . « لامين الاتحاد الاشتراكي في المدينة ونائبها في مجلس الامة عبدالوهاب فوطة » ويتلخص المقال في نقطتين : مبادرات جماهير المدينة عام ٥٦ ، ٦٧ للمشاركة في اعباء الدفاع وايواء الجيش ، ثم مطالبة الكاتب باطلاق حرية الحركة للعمل الجماهيري الديموقراطي المنظم بصورة اكبر تاثيرا مما كانت عليه في ايام القتال وما بعدها مباشرة .

اما معين بسيسو فيقدم صورة « ادبية » لغزة تحت الاحتلال « ملاحظات حول مدينة محتلة » وربما كانت اهم مقولاته الجامعة هي مقولته عن ان غزة قد تحررت سياسيا رغم احتلالها عسكريا ،وذلك عن طريق التفافها حول الكفاح المسلح طريقا للتحرر .

* * *

ربما كان هذا كله جميلا وان اختلفنا مع كثير من تفصيلاته ، ولكن القضية التي غفلنا عنها ونحن نتذكر حزيران في حزيران الرابع : اذا كنا بعد الهزيمة قد شبعنا من تجريح انفسنا ،فلماذا الان وقد تجاوزنا لحظة المرارة وعبرنا مظهر الهزيمة ـ لماذا الان لا ننقد انفسنا نقدا جادا ولماذا لا نشير الى ما يجب ان نغيره في انفسنا ولماذا لا نغيره ؟.

اننا نخشى ان يكون للاهتمام السياسي بالعدو وببرامج العمل السياسي والعسكري من جانبنا لمواجهته ، نخشى ان يكون لذلك دلالة سيئة : تتلخص في حرص مثقفينا الثوريين على عدم التعرض بالنقد لاوضاعنا الداخلية ، والاكتفاء بتقديم التحليلات السياسية ذات الصحة الجزئية ـ عن العدو ، او الاكتفاء بالتلفت الى اللحظات المشرقة في تاريخنا في احسن الاحوال .

سمعت من صديق انه قرأ حديثا صحفيا لقائد اسرائيلي سئل عن اللحظة التي تفزع اسرائيل فيها على مصيرها في المواجهة مع العرب ، فاجاب بانها اللحظة التي يغير فيها العرب البرامج الدراسية في مدارسهم . وربما كانت هذه الاجابة تختزل الكثير من الحقائق الاساسية ـ الاجتماعية والحضارية . ولكننا نعتقد ان لهذه الاجابة دلالة عميقة حقا . ان تغيير البرامج الدراسية في مدارسنا في اتجاه علمي وعلماني تقدمي مستنير وهادف الى وضع العلم المدرسي في خدمة العمل الاجتماعي الوطني والتقدمي ، معناه تغيير العقلية التأملية السكونية واستبدالها بعقلية عملية وعلمية وديناميكية حية . وهذا معناه ان اساليبنا في العمل وفي تخطيط استهلاك طاقاتنا وتنميتها ستكون اساليب علمية حقا وواقعية وفعالة . ولكن تغيير العقلية واساليب العمل مرتبط اوثق ارتباط بتغيير مراكز الثقل الاجتماعية ذات السلطة السياسية في مجتمعاتنا ، او على الاقل بتغيير الانتماءات الطبقية والفكرية لمراكز الثقل الحالية .

ان زيادة معرفتنا العلمية بالعدو ـ هذه المعرفة التي لا ينبغي ان تقف عند حدود التحليلات السياسية والاقتصادية ـ ليست سوى شرط خارجي لتحسين ادارة مواجهتنا لهذا العدو . اما زيادة معرفتنا العلمية بذواتنا ونقدها وتطويرها فهي الشرط الداخلي الذي « يتوقف » عليه مصير هذه المواجهة .

ترى ماذا يمكن ان نقول في حزيران الخامس ١٩٧١ ؟

القاهرة — **سامي خشبة**

* * *

ج.ع.س

فؤاد الشايب ، الصديق والمعلم

بقلم : محيي الدين صبحي

كنت امني النفس بلقائه . كنت احبه . كنت احب حتى مظهره الانيق اللطيف ، مثلما كنت ارتاح الى قسمات وجهه وحديثه . فعيناه العسليتان الدابغتان مكحلتان ببؤبؤ بهي السواد يضفي على نظراتهما المتوثبة حدة ونفاذا ، هما حدة الجرأة ونفاذ البصيرة المتفحمة . وقل ان تجد رجلا يصعقك بنظرته الجارحة تلك كنظرة صقر او حداة تنهب نهبا ما تقع عليه ، حتى بت لا اشك ان تهمة البيروقراطية التي لازمته قبل ان اتعرف عليه ـ منذ عشر سنوات تقريبا ـ وقبلها بكثير ، لم تكن سوى احدى نتائج هذه الهيبة التي تشعها نظرته فتضع بينه وبين جليسه حدا ، وتخلق بعدا زجاجيا يصعب تجاوزه ويستحيل كسره ، الا اذا القى بنفسه اليك ، وأسر النجوى من نفسه الى نفسك ، فتطمئن هنيهات ، ثم ما يلبث صوته الحاد وحركاته القلقة ان يعيداك الى ما كنت عليه من بعد ورهبة .

كان مربوع القامة متين الاسر في رشاقة ، ومع ذلك فما كان ليستقر على كرسيه او يطمئن به المجلس . وسواء أزرته في بيته او قابلته في مكتبه الرسمي او ذهبتما معا في نزهة ، فان الحال واحد : لا بد ان ينهض عن مقعده ولا يكلمك الا واقفا او متجولا ، وتلك علامة الرضى ، لانه اذا غضب يتمسك بمقعده بكلتا يديه ولا ينهض الا اذا نهضت للرحيل . ولم تكن حركاته عن قلق او مرض ، فقد ظلت صحته ووعيه يلازمانه الي آخر يوم في حياته ، بل كانت تصدر عن حيوية

متوثبة تنزع بصاحبها عن الاستقرار والاستمرار الى التنقل والنبو عن الروتين والحياة الوادعة المطمئنة ، فهي كحيوية الطفل في استواء عافيته ، تدفعه الى اللعب واللهو ، وتأبى عليه الخمول والبلادة ، حتى انه قلما كان يدرك وهو يتحدث ما تفعله يداه ، من لعب بعلبة ثقاب او الخط بالقلم على ورقة امامه ..

ولكن يبدو لي ان القلق والحركة شيئان في طالعه وقدره قبل ان يكونا في طبعه وتكوينه ، فهو لم يولد على اليابسة من هذه الارض ذات القارات الخمس ، بل ولد على باخرة العودة اثناء رجوع ابيه من مهجره في البرازيل عام ١٩١٠ الى قريته معلولا شرقي دمشق وعلى مقربة منها . وقد شب اديبنا حتى انهى دراسة الحقوق من الجامعة السورية عام ١٩٣٢ وهو يتنقل بين معلولا ودمشق ، وما ان تخرج من الجامعة حتى سافر الى باريس مدة ثلاث سنوات بغية دراسة الادب ، لكنه اذا لم يعد بشهادة جامعية فقد عاد بثروة حسنة من الالمام التام بالفرنسية والاطلاع الواسع والتجربة الحسية التي انغمس بها كل « عصفور من الشرق » وفد الى مدينة النور والعتمة . ولما عاد الى الوطن اشتغل بالتدريس في بيروت وبغداد بين ١٩٣٥ و ١٩٤٠ .

لا شك في ان لمزاجه المتقلب اثرا كبيرا في هذه الحياة القلقة ، لكنه حين عاد الى دمشق هذه المرة كان في نيته ان يستقر ، فتزوج وعمل هذه المرة في الصحافة ، واشتغل على التوالي محررا في مجلة الحياة الادبية وجريدة الطليعة ثم صار سكرتير تحرير جريدة « الاستقلال » ومشرفا على ملحقها الادبي ، وفي هذه الاثناء بدأت حياته الوظيفية كرئيس لديوان القصر الجمهوري ، خلال حكم الكتلة الوطنية التي تحولت فيما بعد الى الحزب الوطني الذي ظل حاكما الى سنة ١٩٤٩ . وبعد ان نالت سوريا استقلالها عام ١٩٤٥ عين مديرا للدعاية ثم مديرا للاذاعة في الخمسينيات ، وقل ان وجد في تلك الفترة صحافي لم يتلق من ايادي فؤاد الشايب انواعا من العون والمساعدة ، فقد كان فؤاد الشايب بحكم مركزه ومكانته بين رجالات العهد الوطني يستقطب الحركتين الادبية والصحافية .

تتسم الاعوام العشرة التي تقع بين حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وقيام الوحدة بين سوريا ومصر ، بظهور البورجوازية الوطنية من جهة وبالاضطراب السياسي لمجتمع حديث العهد بتقرير مصيره من جهة ويواجه من جهة اخرى صراعا طبقيا وقوميا ودوليا حادا ، ادى به الى تدخل شركات البترول والدول الكبرى ثم الجيش . ويؤخذ على فؤاد الشايب انه لم يصطدم مع اي وافد جديد الى القصر . ان في هذه الملاحظة اذا اخذت مأخذ النقد ، شيئا من التعسف . فهذه العهود المتوالية كانت مظاهر مختلفة لتقلب السلطة بين يدي الطبقة البورجوازية ، وكان فؤاد الشايب ليبراليا اصلاحيا ، فلم يكن ثمة وجه لاصطدامه مع اشخاص ليس بينهم وبينه خلاف جذري على اي مفهوم من مفاهيم السلطة . ولم يكن فؤاد الشايب بطبعه وطبيعة افقه ليرضى ان يحسب على ذمة فلان او علان من المسكين بمقاليد الامور ، على الرغم من ان ثرثاري المقاهي يصنفونه بين انصار فئة من الناس دون غيرها ، وينتظرون منه بمفهومهم العشائري عن الولاء ، ان يغضب او ينسحب بغضب فلان او انسحابه من الحكم. لقد ظل فؤاد الشايب ركنا من اركان الدولة الناشئة ، يثبت اسسها على دعائم يشارك في اقامتها بعلمه ورأيه وسلطته ، بما يرى فيه خير امته والمجتمع ..

ولاء واحد كان يكنه فؤاد وظل وفيا له كل حياته ، بعد ان اعطاه كل حياته . ذلك الولاء هو لعروبته . ان ولاءه لامته وقوميته ظل فوق كل شك او اعتبار . وفي فترة التقارب السوري ـ المصري قبيل حرب السويس الى اعلان الوحدة ، بذل بالفعل اخلص الجهود واخصبها للتقريب والتوفيق والتنسيق بين الخطط والاجهزة الاعلامية في القطرين وامضى فترة الوحدة متنقلا بينهما كمستشار في الوزارة المركزية في القاهرة ، لشؤون الاعلام في القطر السوري . وقد مرت بعد انفصال الوحدة ايام وفترات كانت التهمة بالناصرية او بالقومية تعادل التهمة بالخيانة او بالشوفينية او بالرجعية .. الخ ما لفق اعداء الامة للمخلصين من ابنائها فلم يتراجع ولم يساوم . وقد حماه ماضيه وخبرته من ان يتعرض للاذى الشديد . لكن نشاطه لم يهدأ ، فأسس مجلة المعرفة ، ثم تركها فترة ليعمل مساعدا للوزير في وزارة الاعلام ثم عاد اليها ثم ختم حياته مديرا لمكاتب الجامعة العربية في امريكا الجنوبية ، واتخذ مقره في بوينس ايريس عاصمة الارجنتين حيث لفظ آخر انفاسه وهو يحزم حقائبه عائدا الى الوطن من جديد ..

* * *

ما عدا مجموعة قصصه « تاريخ جرح » لم ينشر فؤاد الشايب في كتاب باسمه أي اثر آخر . وهذا لا يعني بالطبع انه انقطع عن الكتابة بعد ١٩٤٠ ، بل على العكس ، فقد ازداد أسلوبه تألقا ورونقا وافاضة ، بسبب ما اضفته عليه الحياة العملية من كثافة وزخم ، وما اكتسبه من الاحتكاك بالرجال من ذوي الراي والعزيمة من مضاء ورهافة في التعبير ودفة وشمول في الفكرة ، واخيرا بسبب ما منحته الثقافة الواسعة من تدقيق في التفاصيل وسعة في الادراك لرؤيته الاولى للعالم . اذ من المعروف ان كل اديب او مفكر او فنان ، انما يبدأ عمله الفني بدفقة لزجة من الرؤى تتكون حسب ميله الفطري وارتكاساته المكتسبة في طفولته الاولى ووعيه المبكر لشؤون الفكر والحياة اثناء المراهقة وبعدها ، ثم لا يكون دور التثقف والتجربة وتفاعلهما وادراكهما الا دور التفصيل والتوضيح واعادة التكوين بعد البلعمة ، مما يتيح الفرصة للتغاير والتمايز والتنافر والتناغم بين جزيئات تلك الدفقة اللزجة من الرؤى فاذا بها كون اصغر لكنه يستوعب العالم الاكبر بنظام اكمل وترتيب اوفى وتدبير اخفى ، يستخرج النظام من السديم ويبصر الانسان في الفوضى . وكلما اكتمل لقاح الفكر بالتجربة جاء هذا النظام اكثر اصالة وابعد جذورا في الحياة واعظم تجنبا لبهتان التجريد وغموض العماء ومتاهات الفوضى . وهذا هو اسلوب فؤاد الشايب في افضل صورة . تقرأ بيانه فاذا انت في غمار موج متلاطم ، زخار بكل جزيل اللفظ ، شريف القصد ، متين الاسر ، بحيث تحتار : أي مجالي جماله تروم ، وأي أعماق نبوغه تدرك ؟ فهو اسلوب يحمل اليك الفكر والتجربة والجمال ، بحرارة تصهر كل هذه العناصر وتقذفها بفيض يتدفق تدفقا انفجاريا ضمن صياغة يمسحها احساس يقارب حد التقديس بجمال اللغة العربية ومنابع الجمال فيها ، حتى ليمكن ان يعد بين فصحاء العربية وبلغاء العرب ومترسليهم في سائر الازمان .

وعلى الرغم من ان مثل الحق والخير والجمال تحف ضميره وتتحف وجدانه كأديب متحرر معاصر ، فانه في كل ما كتب لم يخرج عن اطار الحضارة العربية ومفهوماتها الخيرة في تجسيد امتزاج الحضارات وتحقيق العدل والحرية للامة العربية وأمم الارض جمعاء . وبالرغم من اننا لسنا في مجال دراسة تحليلية ولا تقييمية لآثاره فلنستمع الى صوته وهو يقدم العدد الاول من مجلة المعرفة ـ وهو المصدر الوحيد المتوفر بين يدي من آثاره الكثيرة المشتتة :

« وعندما نتحدث عن تقاليد الامة في تشدانها المعرفة ، وقيادتها موكب العقل البشري فاننا لا نفعل تهويلا او مكابرة او تعصبا ، فالعقيدة العربية ، بالاسلام ، نشأت تحت راية المعرفة والادراك ، والشوق الى الانطلاق ، ودعت الى التفكير والتأمل في معجزة الخلق ، ونظام الكون ، ونشوء الحياة ، وتاريخ الشعوب ، وكل ما هو في ابعاد السماء او على سطح الارض ، مما لم يكن قط مألوفا او معروفا . فتفتح للدعوة وجدان الجاهلي المادي كما تفتح لها تفكيره في وقت واحد معا .

« تفتحت انسانية العربي للدعوة واكوانها الجديدة الرائعة ، وفي اولى كلماته تنزيلها الحكيم امر الله : « اقرأ ... » فانجلى للدعوة سمعه وبصره ، وقلبه وعقله ، ان اقرأ ايها الخامل ، وتعلم ايها الجاهل « اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » . فكانت الدعوة الى العقيدة دعوة الى العلم والتأمل واعمال الفكر ، دعوة الى الثورة على الجهل كوضع فكري ، وعلى الجاهلية كوضع اجتماعي ،

وفي الوقت نفسه ، نداء الى شعور الانسان بقيمة وجوده الذي سخرت له الارض وما عليها » .

لنذكر ان هذه السطور كتبت بعد ستة شهور من الانفصال الذي لم يستنفر العصبيات الاقليمية والطبقية فقط ، وانما استنفر معها ايضا العصبيات الطائفية والمذهبية . فكان رده غير المباشر على سياسة الدولة الرجعية الانفصالية الاقليمية الطائفية ، ان فسر رسالة الاسلام تفسرا قوميا وقفز بها الى مشارف حاجتنا الراهنة « للثورة على الجهل كوضع فكري ، وعلى الجاهلية كوضع اجتماعي » وذلك دون ان تشغله اهتماماته القومية عن التنويه بالمضمون الاممي « الانساني » لرسالة الاسلام العربي . ثم لا يلبث الكاتب ان ينصرف مرة اخرى الى هدفه الاول من ربط المعرفة بالتراث والتقليد العربيين :

« .. فالمعرفة ، والبحث عن الحق والحقيقة بالمعرفة المتطورة ، من تقاليد الفكر العربي . والدأب والصبر وهدر العمر وراء البحث والتامل والتفكير ، من صفات المفكرين العرب. وتطعيم الحضارة العربية بمعارف الشعوب السابقة وعلومها من ابرز ما ميز ثقافة العرب الحضارية ، وليس لنا الا ان ندرك بعد هذا اننا لبثنا في نفق الظلام طوال اربعة قرون ، فسار موكب الزمان وتخلفنا ، وبات محتما علينا ان نعوض ما فات تعويضا مركبا ، لنعيش في القرن العشرين ، لا في القرن السادس عشر ، تحت طائلة الحرمان من حق العيش ابدا . فباي جهد ، وباي داب ، وباي حب للحياة ، وحرص على البقاء ! » .

فانطلاقا من موقفه القومي ، يؤسس الطارف على التليد ، ويقرر بالواقع التاريخي ، ان طلب العلم تقليد عربي ، والبحث عن المعرفة تراث قومي ، بتجديده نصل ما انقطع من مقومات امتنا . ونصر كجندي نذر قلمه وذهنه لامته ، على ان المعرفة قوة ، تسهم بها في صيانة وجودنا واخصابه . وبها « نعبر تعبيرا انسانيا عن استحقاقنا للبقاء ، باحياء مقوماته » . ولنشهد آلاف الصفحات التي حبرها فؤاد الشايب بانه لم يتوالد لحظة واحدة عن وضع معرفته في خنادق الدفاع عن امته في ماضيها ومستقبلها ، وتسخير امكانياته لا لتجديد تراثها فقط ، بل لتفتيح المواهب الشابة ايضا ، واظهار القدرات الكامنة في الاجيال الصاعدة من شبان الوطن العربي .

كان فؤاد الشايب ـ على الرغم من لغته المجنحة ـ اديبا واقعيا ينتمي الى امته ومثلها اعمق انتماء ، ويدافع عنها بلسانه وقلمه بابلغ عبارة وبيان مقنع . وقد رفدت تجربته السياسية العريضة ادبه واخصبت افكاره ورصنت اسلوبه ، فجاء ادبه متفجرا كطبعه ، رحبا كتجربته ، خصبا كفكره ، آسرا كالبيان في امة تعد البلاغة معجزة من المعجزات ، تعادل في رهبتها وعمق تاثيرها ، احياء الموتى او تفجير الانهار ، او تكلم الطفل في المهد .

ان منظومة الوجود الفكري لفؤاد الشايب سهلة الكشف ، فهو منتم الى قوميته ، وانتماؤه يفرض عليه ان يتوق الى وحدتها والتفكير بالعراقيل التي تعيق تكاملها ونهضتها التي تنسجها عبقرية لغتها . ولقد كيف انتماؤه حياته ودفعه الى مجال العمل العام ، فكان رجل دولة واديب دولة ، جعل مدار طموحه القفز بهذه الدولة من مجالها الاقليمي الى مجالها القومي ـ وقد فعل ، بالاشتراك مع طبقته طبعا ، وبصرف النظر عن النتائج . ان ما يجب ان نسجله هنا ذلك الاخلاص للرؤيا القومية والاصرار عليها . وهما عنصران امليا عليه صحة آرائه الادبية والبعد عن امراض الادب الحديث من نرجسية وقوقعية وسوداوية . ولا بأس من ان نستعرض آرائه الادبية التي ظل يبثها سنوات عديدة في زاويته « جولة الشهر » من مجلة المعرفة ، ومصدرنا العدد الاول طبعا.

قال في التعليق على رواية « السام » لالبرتو مورافيا ، والتعليق بعنوان « الادب الاسود » :

« هناك كلمة صغيرة اردفها على هذه الصورة من الادب الاسود ، الذي يتفجر في آثار الكبار من كتاب اوروبة وامريكا ، هي انه في هذا العصر ، حيث تنتشر الافكار بين آفاق العالم الاربعة ، كما ينتشر الغبار الذري ، باجنحة الموجات الاثيرية ـ كان نترجم آخر روايات فرانسواز ساغان الى العربية قبل ان يتيسر لفرانسواز نفسها مراجعة كتابها المطبوع ـ اصبحنا نخشى على ادبنا من التلوث بالغبار الاسود ، يفد الينا في زجاجات من عطر ، صنعها ، هؤلاء الفنانون العباقرة . ويكفي ان نقرأ ادبا قصصيا ، او نشاهد فنا سينمائيا ، انخذ فيه « دينو » (بطل السام) اسم « علي » وسيسيليا اسم « فاطمة » ، في مشاهد من الحياة المنقولة نقلا ثقيلا سمجا من نيويورك وروما الى دمشق او بيروت او القاهرة ، حتى ندرك ان عملية التلوث ، ليست حدثا نرتقبه ، بل واقعا نتحسسه ، ومرضا يخشى ان ينقلب الى وباء . ويبقى ان الفرق بين دينو وعلي ، آن الاول وجود انساني حي في جوه لاوسطه والثاني وجود شكلي مختلق في وسطنا وجونا . والادب الضعيف ، اذا لم يتحمل لقاح التجربة العالمية كخميرة ابداع ، انقلب اللقاح فيه الى سم قاتل .

« ... ان الادب يجب ان يفتش عن موضوعه الانساني العميق مثلما هو يفتش عن فنه ، لان اصالة الفن من اصالة الموضوع . والكذب في احسن صفاته ، حيلة بارعة وتزوير دقيق ، وليس فنا مبدعا . ولعل اجمل ما في خيال الروائي انه يتخيل الواقع ويكتشفه باجنحته . وواقعنا لم يكتشفه ادبنا » .

وفي التعليق على رواية « جسر على نهر الدرينا » كتب يقول :

« ... قلت وانا لا ازال اقرأ رواية الجسر ، كم في بلادنا ، التي تتنسم رائحة أجوائها في حكايات اندريتش ، من نماذج بشرية فوق الارض مجهولة كالمعادن في بطنها ، نعيش معها ولا نشعر بها » .

هذا الالحاح على معرفة البيئة ، وتقويم النفس ، وتعمق الذات العربية ، بنسمة من سمات وجود فؤاد الشايب ، لم ترفعه فقط الى مرتبة الرواد فقط ، وانما تركت بصمات اصابعها على كل ما خطته اصابع فؤاد الشايب لا في الادب وحده بل في الخطابات والبيانات التي كان يكتبها لرفاقه من السياسيين والوزراء . واننا لنكرم ذكراه من هذه الزاوية بالذات ، زاوية المفكر الاديب الذي يمتزج حسه العملي بحدسه الفكري ، ليضع كل ذلك في خدمة امته وبلاده ، وقل ان نجد في التاريخ العربي الحديث ، وفي الدول العربية القائمة الآن ، اديبا يضاهيه في الجمع بين الفكر والعمل ، بل ان الجيل الموجود الآن في سوريا اقل فعالية بما لا يقاس في ظروف اكثر خطورة بما لا يقاس ـ هذا ان لم نذكر شيئا عن نرجسيتهم وانفلاقهم وزحفهم المحموم نحو المال والشهرة ، وهم لا يستحقونهما بحال . ويكفيه انه ختم حياته ، بعيدا آلاف الاميال عن وطنه ، وهو يكافح لاحقاق الحق العربي وابطال الباطل الصهيوني ، مدفوعا بروحه العملية وايمانه القومي لكي يضع مرة والى الابد امكانياته في خدمة امته .

***

استدعاني صديقي فؤاد الشايب الى مكتبه في وزارة الثقافة ، اواخر عام ١٩٦١ ، ولم اكن اعرف الغرض من هذه الزيارة ، فقد كانت معرفتي به محدودة . جلست ووقف كعادته يحوص في الغرفة دون هدف ، الا اننا كنا نتذاكر الاوضاع السياسية وهزال العهد الانفصالي الرجعي ، وكيف انه يحاول ان يثبت اركانه باستعداء الطوائف بعضها على البعض الآخر ، تحت ستار من شعار الوحدة الوطنية ، بان نظم كبار المسؤولين اياما لاستقبال وفود من رجال الدين لكل طائفة على حدة في يوم معين . فقال لي :

ـ انني هذه الايام لا انقم على احد قدر نقمتي على خالد بن الوليد والظاهر بيبرس .

سألته دهشا :

ـ لماذا ؟

فقال وهو ينتف شاربيه ـ وهي عادته في التعبير عن غضبه :

ـ لان الاثنين سنحت لهما فرصة تخليص العرب من تعدد الاديان والمذاهب.. وقد اغفل الاثنان هذه الفرصة . وعلينا الآن ان ندفع ثمن

تسامحهما . هناك شيء في طبيعة العربي يجعله يترك للاخرين معتقداتهم اذا لم يتعرضوا لمعتقداته . هذا الكرم الاخلاقي يكلف العرب غاليا في حالة ضعفهم . اذ يفاجأون بأعداء مخفيين لم يكونوا يحسبون لهم حسابا .

قلت كالمذهول :

ـ ماذا تقصد بالضبط ؟ هل كنت تريد من خالد او ابي عبيدة الا يعطوا الامان لاهل الكتاب ؟ على رسلك يا رجل ، لا يدفعنك الانفعال الى قلب الفضائل الى رذائل .

قال غير آبه لما أقول :

ـ نعم . نعم . كان يكفي العرب دين واحد .

اجبته :

ـ ولكن العرب امة مزدوجة الدين . هذا امر واقع تبينه ابو بكر وعمر وخالد من بعد محمد وامية بن ابي الصلت . ولم يكن هذا الازدواج عائقا لوحدة الامة لكن الاستعمار ...

فقاطعني محتدا بعينيه وصوته :

ـ اعرف مولانا اعرف . اجئت لتشرح لي ان المسيحيين عرب وان المسيحية دين عربي . لو لم اكن مقتنعا بان المسيحية دين عربي لتركتها .

فانتفضت مذعورا وانا اساله :

ـ وهل انت مسيحي ؟

رد وهو يضحك :

ـ نعم مولانا . أنا مسيحي .

وماذا كنت تظنني ؟ مسلما ؟ الا تعرف بان المسلم لا تخطر على باله مثل هذه الافكار ؟

فاقسمت له انني لا اعرف انه كذلك ولم يترام الى سمعي شيء من هذا الامر ، وان وحدويته اشهر من مسيحيته ، وان الناس يتحدثون عن تلك ويغفلون هذه ، وان هذا الامر غريب نظرا لشهرة اسمه في اوساط متعددة ... فكان مسرورا اشد السرور لتاكيداتي هذه بالنسبة له ، واتخذها دليلا على ان من يخلص للامة تكافئه مكافآت معنوية ، بتنزيه شخصه عن التفاهات المورثة واليومية ..

ثم انتقل بنا الحديث الى مشروعه بالمجلة وانه ينوي تسميتها « المعرفة » ، فسألته عن سبب الحاحه على المشروع واستعجاله به . فقال :

ـ مولانا ، هذه مرحلة قذرة . والعمل في المجال العام لا بد ان يسيء الى صاحبه ، والانسحاب امر مشين فضلا عن انه مستحيل . وما دمت قد عدت من القاهرة ولم اقبل اللجوء فيجب ان نعمل شيئا نستقطب حوله الطيبين وننير السبيل امام الجاهلين . وانا اريد ان تساعدني انت واصدقاؤك . ان جيلنا شاخ واهترأ لكثرة ما خاض ورأى . الامل معقود عليكم انتم الشبان ... الخ .

وفي مطلع عام ١٩٦٤ تباحثنا في موضوع اصدار عدد خاص عن القضية الفلسطينية ، وكان ثمة عدد من العوائق والاعتبارات ، اصر فؤاد الشايب ـ بالرغم منها ـ على اصدار العدد . ومن جملة ما قال لي ، عندما سألته عن سبب الحاحه :

ـ يبدو ان العرب ، في غمار التحول الاجتماعي لصيغة الدولة ، قد طووا كتاب فلسطين لينشروا غسيلهم ، وليس فيهم من هو بلا خطيئة ليكون بمنجاة من حجارة غيره . الا ان الصهيونة اذا ارتاحت ، ستفتح هذا الكتاب في يوم من الايام القادمة بأعنف واقسى مما يخطر على بال أي عربي ، في الحكم او في المعارضة . وعندها ستسقط ورقة التين عن الحكام العرب ويواجهون مسؤولياتهم وهم عراة عزل . ان الصهيونية ، في حاجتها ، الى الارض والاسواق واليد العاملة الرخيصة ، ستندفع الى حرب طويلة تمتص بها حيوية هذه الكيانات الضعيفة بغية ان تقع طعمة لها . لذلك فمن واجبنا ان نثير القضية كلما عمل الآخرون على طمسها . وان نظل نثيرها حتى يدركها من العرب قاصيهم ودانيهم . ان ما يحرق القلب ان ثمانين بالمائة من هذه الامة اميون ، لا تجد لغة تخاطبهم بها ، لذلك يظن الغرب ان بمقدوره ان يمرر اية مؤامرة ضدهم ، وفي طليعتها مؤامرة الصمت عن فلسطين ..

***

بالامس ، توفي فؤاد الشايب ، وكانت وفاته على وجه التحقيق يوم السبت ١١ ـ ٧ ـ ١٩٧٠ ، وهو يحزم حقائبه عائدا الى الوطن . لقد مات فؤاد الشايب فتأثرت لوفاته العروبة لانه واحد من اخلص ابنائها ، وبكته العربية لانه من فصحائها وبلغاء باعثيها . كان عائدا الى وطن مدمى وامة ثائرة ، هو في مكان الريادة منهما كليهما . على انه لم يمض لطيته الا وقد قرت عينه بجحافل الفداء ترغم انف العدو الغاشم وتنوشه بجراتها قبل ان تعفره برصاصها .

واذا كانت لم تتحقق امنيته الخاصة قبل ان يغادر وطنه ، في ان يجد فسحة من الوقت ليجمع بها آثاره الفكرية ، فاننا نحن ـ اصدقاءه ومريديه ـ لنتعهد في القيام بهذا الواجب حفاظا على جزء من تراث نهضتنا المعاصرة ، ومتابعة للرسالة التي وقف عليها حياته ، في بعث النور والحركة في وجدان امتنا حتى تلحق بركب الحضارة المعاصرة وتسهم في تقرير مصيرها ومصير الانسانية جمعاء .

علي محمود طه

قصائد

اختارها وقدّم لها

صلاح عبد الصبور

عن دار الاداب

٢٥٠ ق ل

صدر حديثا